الصاعقة التاسعة والثمانون: لا افتخارٌ إلا لمن لا يُضامُ(*)

لا افـتـخـارٌ إلا لمنْ لا يُضـامُ ... مـدركٍ أو مُـحَـاربٍ لا ينامُ

ليسَ عـزْمًـا مـا مـرّض المرءُ فـيـه ... ليسَ همًّـا مـا عـاقَ عنه الظّلامُ

واحـتـمـالُ الأذى ورُؤيةُ جـانيـ ... ـهِ غـذاءٌ تضـوى بـهِ الأجـسـامُ

ذلّ منْ يغـبِطُ الذليلَ بعـيـشٍ ... رُبّ عـيـشٍ أخفُّ منه الحـمـامُ

كلُّ حلمٍ أتى بغـيـرِ اقـتـدارٍ ... حُـجّـةٌ لاجئٌ إليـهـا اللئـامُ

منْ يهُنْ يسـهُلِ الهـوانُ عليـه ... مـا لجـرحٍ بميّتٍ إيلامُ

ضـاقَ ذرعًـا بأنْ أضـيـقَ بـهِ ذرْ ... عًـا زمـاني واستكرمـتْني الكرامُ

واقـفًـا تحتَ أخـمـصي قـدرِ نفسي ... واقـفًـا تحت أخـمـصيّ الأنامُ

أقـرارًا ألـذُّ فـوقَ شـرارٍ ... ومـرامًـا أبغي وظُلْمي يُرامُ

دونَ أن يشـرَقَ الحـجـازُ ونجـدٌ ... والعـراقـانِ بالقنا والشّـامُ

شـرقَ الجـوُّ بالغـبـارِ إذا سـا ... ر عليٌّ بنُ أحـمـدَ القـمـقـامُ[1]

الأديبُ المهـذّبُ الأصـيـدُ الضـر ... بُ الذكيُّ الجعـدُ السّريُّ الهـمـامُ

والـذي ريـبُ دهـرِهِ منْ أسـارا ... هُ ومنْ حـاسـدي يديْه الغـمـامُ

(*) مناسبة القصيدة: خرج أبو الطيب إلى جبل جرش، منزل بأبي الحسين علي بن أحمد المري الخراساني، فقال يمدحه.

(١) القمقام: السيّد.

يتـــداوَى منْ كـــثـــرةِ المالِ بالإقـ ـلالِ جُـودًا كـأنَّ مـالاً سـقـامُ
حَـسَنٌ في عـيـونِ أعـدائه أقـ ـبحُ منْ ضـيـفِـهِ رأتهُ السَّـوامُ
لو حـمى سـيِّـدًا منَ الموتِ حـامٍ لحـمـاهُ الإجـلالُ والإعظامُ
وعـوارٍ لوامعٌ دينُهـا الحـ ـلُّ ولكـنّ زيَّهـا الإحـرامُ
كُـتـبَتْ في صـحـائفِ المجدِ : بسمٌ ثمَّ قـيسٌ وبعـدَ قـيسِ السـلامُ
إنما مـرّةُ بنُ عـوفِ بن سـعـدٍ جـمـراتٌ لا تشـتـهـيـهـا النَّعـامُ
ليلُها صُـبـحُـهـا منَ النار والإصـ ـباحُ ليلٌ منَ الدّخـانِ تمامُ
همـمٌ بلّغـتْكم رُتبـاتٍ قـصُـرتْ عنْ بلوغِـهـا الأوهامُ
ونفـوسٌ إذا انبـرتْ لقـتـالٍ نفـدتْ قـبلَ ينفـدُ الإقـدامُ
وقلوبٌ مـوطَّـناتٌ على الرّوْ عِ كـأنَّ اقـتـحـامَـهـا استـسلامُ
قـائدو كل شطبـةٍ وحـصـانٍ قـدْ براها الإسـراجُ والإلجـامُ[1]
يتـعـثَّـرْنَ بالرؤوسِ كـمـا مـرَّ بتـاءاتِ نطقـهِ التَّـمـتـامُ
طالَ غـشـيـانُكَ الكريهـةَ حـتى قـالَ فـيكَ الذي أقـولُ الحُـسـامُ
وكـفـتْكَ الصـفـائحُ الناسَ حـتى قـد كـفـتْكَ الصـفـائحَ الأقـلامُ
وكـفـتْكَ التـجـاربُ الفكرَ حـتى قـدْ كـفـاكَ التـجـاربَ الإلهـامُ
فـارسٌ يشـتـري بـرازَكَ للفـخـ ـرِ بقـتـلٍ مـعـجَّلٍ لا يُلامُ

(١) الشطبة: الفرس الطويلة.

نائلٌ منكَ نظرةٌ ساقَهُ الفقـ ـرُ عليهِ لفقْرهِ إنعامُ
خيرُ أعضائنا الرؤوسُ ولكنْ فضَّلَتْها بقصدكَ الأقدامُ
قد لعمري أقصرْتُ عنكَ وللوفـ ـدِ ازدحامٌ وللعطايا ازدحامُ
خِفتُ إنْ صرتُ في يمينكَ أنْ تأ خُذني في هباتِكَ الأقوامُ
ومن الرُّشدِ لم أزرْك على القر بِ، على البُعدِ يُعرفُ الإلمامُ
ومنَ الخيرِ بُطءُ سيبكَ عني أسرعُ السُّحبِ في المسيرِ الجهامُ
قلْ فكمْ منْ جواهرَ بنظامٍ وُدُّها أنها بفيكَ كلامُ
هابكَ الليلُ والنهارُ فلو تنـ ـهاهُما لم تجُزْ بكَ الأيامُ
حسبكَ اللهُ ما تضلّ عن الحـ ـقِّ ولا يهتدي إليكَ أثامُ
لم لا تحذرُ العواقبَ في غيـ ـرِ الدّنايا، أما عليكَ حرامُ
كم حبيبٍ لا عُذرَ للومِ فيه لكَ فيهِ منَ التُّقى لُوّامُ
رفعتْ قدركَ النزاهةُ عنهُ وثنتْ قلبَكَ المساعي الجسامُ
إن بعضًا من القريضِ هُذاءٌ ليسَ شيئًا وبعضَهُ أحكامُ
منه ما يجلُبُ البراعةُ والفضـ ـلُ ومنه ما يجلُبُ البرسامُ[1]

(١) البرسام: مرض صدري.